محاضرة الممالك العربية قبل الاسلام (2)

الممالك العربية الجنوبية :

1 – الدولة المعينية :

قامت الدولة المعينية في منطقة **الجوف** شرقي صنعاء بين نجران وحضرموت ، أرضها كانت خصبة ومياهها كثيرة، وقد اشتغل أهلها بالزراعة والتجارة ، وهي من بين أقدم الممالك العربية في اليمن. جاءتنا أخبارها عبر الكتب الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، وقد اختلف الباحثون حول تاريخ تأسيس هذه المملكة ، فالبعض يضع هذه التواريخ بين القرن الخامس عشر قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي ، بينما قال بعضهم ان تاريخها كان في 1300 ق.م ، وان أخر الملوك المعينين ربما عاصر أول حكام سبأ، فقد قيل أن سبأ قد قامت على أنقاض معين وأول أول "مكارب" سبأ هو الذي قضى على مملكة معين.

وقد تشكلت معين من اتحاد مدن الجوف التي كانت قبل خضوعها للسيطرة السبئية تمثل ممالك مستقلة، وبعد توحدها اتخذت مدينة **قرناو** عاصمة للمملكة الناشئة ثم اصبحت مدينة معين هي العاصمة ، وفي الأخير أصبحت معين تابعة لمملكة سبأ.

وقد اختلف الباحثون أيضا في مكانها فقد قيل بأنها في سلطنة عمان، انها كانت معاصرة للبابليين الذين كانت لهم علاقة بهم، بل إن السومريين كانوا يجلبون النحاس منها ، وقيل بأنهم قوم عاد، بينما ذهب آخرون إلى أنهم من بدو الآراميين الذين كانوا في أعالي جزيرة العرب قبل دولة حمورابي البابلية بعدة قرون.

وقيل بأنه خلال الألف الأولى قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعًا في يد السبئيين والمعينيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وكان السبئيون والمعينيون أبناء جنس واحد ولكنهم كانوا يتنافسون على السيادة، لا في بلادهم فحسب، بل في الواحات التي كانت تمر بها الطرق التجارية كذلك.

ويعتقد المؤرخون أنه في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ازدهرت معين ازدهاراً كبيراً نتيجة لنشاط أهلها التجاري، حيث لعب المعينيون دور الوسيط التجاري بين الممالك اليمنية والعالم الخارجي، فقد كانوا يقودون قوافلهم المحملة بالبضائع النادرة وخاصة الطيوب التي انفرد اليمن بإنتاجها إلى مناطق العراق وبلاد الشام ومصر وبلاد اليونان، وتسهيلاً لنشاطهم التجاري أقاموا العديد من المحطات والأسواق على الطريق المعروف باسم طريق اللبان التجاري، والتي

تحولت مع مرور الزمن إلى مدن وحواضر مزدهرة. كما أقام المعينيون عدة معابد لآلهتهم خارج أراضي مملكتهم سواء داخل اليمن أو خارجه.

امتد نفوذ المعينيين حتى أنشئوا في كل واحة من الواحات الواقعة على هذا الطريق محطة لهم تقيم فيها طائفة من المعنيين وجاليات جنوبية من الأوساط التجارية تحميها حاميات عسكرية. وكانت القوافل المعينية تنطلق من اليمن مارة بمكة ويثرب ومدائن صالح (مدينة الحجر) حتى البتراء. ومن هناك كانت تتوزع بين جنوبي سوريا والعراق ومصر. ويعتقد بعض المؤرخين ان مكة كانت تحت نفوذ معين وكذلك معان و تيماء.

مظاهر الحضارة :

اقتبس المعينيون أبجديتهم وعلومهم في المحاسبة من الفينيقيين، وذلك لتدوين حساباتهم التجارية. وقد عثر في **اور** والوركاء بالعراق وفي الجيزة بمصر على كتابات معينية ترجع الى القرن الثاني قبل الميلاد وكلها تشير إلى الصلات التي ربطت العراق ومصر بالدولة المعينية. كما كان حكام أشور في سورية والعراق يتعاملون مع المعينيين المقيمين في الواحات .

2 – مملكة سبأ :

يعتبر الكثير من الباحثين أن مملكة سبأ هي أقدم الممالك التي عرفها تاريخ المنطقة، ومن المرجح أن استقرارهم في جنوب غربي شبه جزيرة العرب قد بدأ في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ، وقد أختلف الباحثون في تاريخ قيامها، فقد قيل بأنها قامت الدولة في حوالي 850 ق.م وسقطت في حوالي 115 ق.م على يد الحميريين، وتنسب المملكة إلى **عبد شمس بن يشجب** الذي ينتهي نسبه الى قحطان، وقد لقب بسبأ لكثرة غزواته وحروبه، وكان انطلاق دولة سبأ في منطقة الجوف في شمال اليمن، وكان الآشوريون يطلقون عليها اسم "**بلاد عريبي**" على هذه المنطقة التي كانت أصلاً وطناً لكثير من الممالك في العهد الاشوري .

وقد ورد اسم سبأ في أكثر من مصدر بينها نقش معيني يشير إلى أن قبيلة بدوية كانت تسطوا على الطريق التجاري الممتد بين جنوبي شبه الجزيرة العربية ومعان في شمالها، وذكر العهد القديم أن لصوصاً سبئيين كانوا يسطون على رعاة أيوب ويقتلونهم، وذكرت النقوش الاشورية التي تعود الى ثلاثة من ملوك آشور هم **تغلات فلاسر وسنحاريب واسرحدون،** وسرجون الثاني وان هؤلاء الملوك فرضوا الجزية على سبأ خلال حكم الملك السبئي **يثعمر** والملك **كرب إيلو**والملك "**آتي امر** " ، وفي عهد هذا الاخير ربما وصلت حملة اشورية الى سنة سنة 715 ق.م.

من المرجح أن السبئيين قد عرفوا الزراعة وقد تكون هي سبب تطورهم، وعرفوا أيضا طرق الري فقد بنو السدود ومنها سد مأرب المذكور في القرآن الكريم: « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ» سورة سبأ،الآية15

كما أن مملكة سبأ القوية كانت معاصرة لعهد نبي الله سليمان عليه السلام في حوالي 1000 ق.م ، ولا شك أن السبئيون كانوا في البداية شعباً بدوياً، ولكنهم عندما تمكنوا من السيطرة على معين، ورثوا مكانة تجارية واستغلوا معرفة المعينيون التجارية وعلاقتهم مع البلدان المختلفة، ولعلهم ورثوا لغة سبأ وديانتها وتقاليد شعبها وتجارتها أيضا ، وصاروا يشتغلون بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر وبلاد الشام والعراق، حتى أضحوا في القرن الاول قبل الميلاد أقوى وسطاء التجارة في العالم القديم. وقد أثرى شعب سبأ ونما وازدهر نتيجة احترافه الزراعة من جهة، وسيطرته على الطرق التجارية البرية التي ربطت آنذاك بين الجنوب والشمال.

ولم يقتصر النفوذ التجاري لسبأ في التجارة البرية بل كان لهم دور في التجارة البحرية أيضا، فقد كانوا يجلبون منتوجات الهند وأفريقيا عن طريق البحر ثم ينقلونها بريا نحو بلاد الشام وفلسطين ومصر.

أسباب قوة الدولة:

– ظلت مملكة سبأ قائمة لمدة تقارب 800 سنة ولا شك أن هناك أسباب مختلفة جعلتها بهذه القوة .

– الموقع الجغرافي الذي وفر لها حماية من الأخطار الخارجية ، حيث يحدها المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الأحمر من الغرب ((صعب الملاحة فيها بسبب الشعب المرجانية) وتحدها صحراء الأحقاف من الغرب ، وصحراء الربع الخالي القاحلة وجبال السروات والحرات كذلك تحد اليمن من الشرق، وهي شبه معزولة عن الإمبراطوريات الكبيرة كمصر وفارس والرومان، بينما القبائل العربية لا تشكل تهديدا لها.

وبسبب مناعتها فشل الغزاة في النيل منها فحتى سرجون الثاني الملك الاشوري فشل في إرسال حملة لغزو مملكة سبأ وكذلك الاسكندر المقدوني، كما فشلت روما في القرن الاول الميلادي في أرسال حملة كبيرة الى احتلال اليمن.

– أنهم استقروا في منطقة تتميز بوفرة الأمطار وقربها من البحر .

– موقعها الجغرافي ساعدها على الاتصال البحري بالهند مما أدى إلى احترافهم لمهنة التجارة

ونقلها بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، وبمرور الوقت أصبحوا أعظم وسطاء التجارة بين الحبشة والهند وبين الشام ومصر .

– سيطرة الحكام السبئين على طرق التجارة[1].

مرت مملكة سبأ بمرحلتين متتاليتين:

1– مرحلة المكربين: وهي مرحلة تلقب فيها حكامها بلقب **مكرب سبأ**، أي المقرب أو الوسيط بين الآلهة والناس حيث قام الحكام بدور الكاهن والملك في آن واحد، وقد بدأت هذه المرحلة في حوالي 800 ق.م حتى 650 ق.م. وتميزت هذه الفترة **بالحكم الكهنوتي** ، قد أحصى الباحثون **17 ملك ، وكانت عاصمتهم هي مدينة صرواح** ، وقد أهتم الحكام ببناء السدود والمعابد ، والاهتمام بالزراعة ومن أهم السدود سد مأرب الذي بني من طرف الملك «**سمه علي ينوف بن ذمار** » في حولي 800 ق.م، ورمم عدة مرات قبل أن ينهار نهائيا.

2– مرحلة الملوك: تلقب فيها حكامها بلقب ملك سبأ واتخذوا مأرب عاصمة لهم، وقد بدأت هذه المرحلة في حوالي 650 ق.م حتى عام 115 ق.م، وقد تميز عهدهم بتجرد الحاكم من الصفات الكهنوتية، ومع مرور الزمن بدأ ملوك سبأ يفقدون مكانتهم مقابل العائلات الارستقراطية القوية والتي كانت تمتلك ثروات طائلة من عائدات التجارة، من بينها : **بنو مرثد ، بنو بثع من همدان ، بنو فيشان**، وفي الاخير تمكنت أسرة همدانية من اغتصاب العرش من ملوك سبأ.

وفي هذه الفترة توسع ملوك سبأ على حساب الممالك المجاورة خاصة مملكة **قتبان ومعين وحضرموت** هذه الاخيرة تغلب عليها السبئيون وسيطر وعليها، **وكندة كما سيطرت على الحبشة**، كما نمت الحرف الصناعية وأصبح لسبأ اسطولاً تجارياً كبيراً، وترجمت سبأ هذا التطور والازدهار توسعاً على حساب جيرانها، كما سيطرة على طرق التجارة واحتكرتها، وزادت سلطة أصحاب الاموال مع مرور الزمن لدرجة أصبحوا ينافسون الملوك، وفي هذه المرحلة حدث تطور فكري واجتماعي وسياسي في الدولة السبئية عهد الأسرة الهمدانية فكان لهم معبود رئيسي يدعى **(تالب يام)** وذُكر معبود آخر هو **(ذو سماوي)** .

وقد شهدت المرحلة الاخيرة ضعف المملكة وتكالب الاعداء عليها خاصة من الممالك المجاورة لها في اليمن أو الحبشة ،كما حدث نزاع داخلي حول العرش أدى الى خراب ودمار، وتحولت الاراضي الزراعية الى اراضي جرداء قاحلة غير منتجة، وفي عام 30 ق.م تمكنت قبيلة

[1] كانت سبأ تسيطر على طريق التجارة وخاصة تجارة البخور واللبان التي كانت تشتهر بها اليمن وكانت تجارة رائجة ، فقد كانت القوافل تنطلق من مأرب شمالا لتتجه على مدينة معين، لتصل الى "قرناو" ثم الجوف للتجه شمالا.

الريدانيين وهي قبيلة شمالية كانت قد نزحت إلى حضرموت من انتزاع عرش سبأ وأسسوا سلالة جديدة تلقب ملوكها "**بملوك سبأ وذي ريدان**" .

سقوط مملكة سبأ:

رغم سقوط سبأ سنة 30 ق. م بأيدي الحميرين وحلفاءهم إلا أنها بقيت بعد ذلك في شكل مملكة صغيرة ومن الممكن أنها كانت تخضع في بعض الاحيان لحمير لأن ملوك حمير كان يلقبون ب "**ملوك سبأ وذي ريدان**" .

وهذه المرحلة من حياة السبئيين تميزت بالاضطرابات وتكالب الطامعين في هذه المملكة الغنية فقد اندلت حروب بين سبا وحمير، كما تمردت العديد من القبائل وسعت للسيطرة على سبأ، كما تدخل الرومان وشنوا هجمات على هذه المملكة في عهد **الإمبراطور أوغسطس** وقد تعاون ملوك الانباط مع الرومان ضد سبأ لكن الحملة فشلت، ومن جهة ثانية تحالفت مملكة أكسوم مع مملكة ظفار في اليمن ضد سبأ، التي تحتكر طرق التجارة وذلك بتأليب من الرومان، كما أن الحميريين كانوا أيضا يرغبون في القضاء على مملكة سبأ، وتمكنوا في الأخير من القضاء عليها في القرن الثالث الميلادي .

أسباب انهيار مملكة سبأ:.

تدهورت مكانتها منذ عام 350ق.م وذلك لأسباب عديدة منها:.

- احتكار دولة البطالمة بمصر للتجارة الشرقية .
- منافسة الهمدانيون ورؤساء القبائل والطبقة الارستقراطية للدولة.
- سيطرة اليونان والرومان على التجارة البحرية .
- ازداد الصراع على عرش سبأ بين أمراء البيت المالك

مملكة حمير :

الحميرون هم بالأساس قبائل سبئية وهم ينتسبون الى حمير بن عبد شمس، وقيل بأنهم من مملكة قتبان[2] المجاورة تمكنوا من السيطرة على أجزاء واسعة من اليمن بما فيها سبأ التي استولوا عليها سنة 30 ق. م، لكن سبأ استقلت على ما يبدو، وكانت هناك منافسة وحروب بين سبأ وحمير، وكان الحميرون قد اتخذوا من **ظفار** عاصمة لهم وتلقب ملوكهم ب: ملوك سبأ وذي

[2] مملكة قتبان: دولة قوية قامت في وادي بيحان واتخذت من مدينة " تمنع " عاصمة لها وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد وسقطت في حوالي 210 م بعد ان استولى عليها ملوك دولة حضرموت .

ريدان ويمنت ابتداء من 105 ق.م، وكان أول ملوكها هو **اليشرح يحضب** وهو أول من حمل هذا اللقب، وقيل بان أول ملوكها **شمر بن ناشر النعم**.

وينسب إلى ملوك سبأ وذي ريدان من الحميريين عدد من الإنجازات الحضارية والسياسية المهمة في تاريخ اليمن القديم وفي مقدمتها إعادة توحيد اليمن في كيان سياسي واحد حيث ظهر منهم ملوك مشهورون بذلوا جهوداً كبيرة إزاءها ومنهم الملكان **«شمر يصحمد» و«ياسر يهنعم»** وقد انتهى في عهد هذا الملك الأخير التنافس الحميري السبئي في القرن الثالث الميلادي بوصوله إلى مأرب مع ولده **«شمر يهر عشر»** وبدأ توحيد اليمن في كيان سياسي واحد نهاية القرن الثالث الميلادي[3]، حيث توسعوا في مناطق واسعة وتلقبوا ب: لقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود وتهامة» ، وهو اللقب الذي اتخذه الملك «**أبو كرب أسعد**.

لم يبرز اسم الحميريون إلا بعد أن تحالفوا مع قبائل اخرى وأصبحوا قوة قادرة على التوسع على حساب ضعف حكومة سبأ وسيطروا على القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، لا سيما ظفار وذي ريدان وهاجموا حضرموت، واستطاعوا الاستيلاء على مأرب، وكانت عاصمتهم هي ضفار أما المقر الملكي فيها فيدعى ريدان، ولذا لقبوا **ببني ريدان** ولم يعرفوا **ببني حمير** الا في وقت لاحق.

وقد أسس الملك **شمر بن ناشر النعم** الدولة الحميرية، وضم اليها مملكة حضرموت وتهامة ويمنات والجبال المحيطة، وبلغ النفوذ التجاري في عهده حداً كبيراً بحيث وصلت قوافله التجارية الى أعالي الرافدين شمالاً والى حدود الصين شرقاً، وغرباً الى مصر، كما ان اسطول الحميريين التجاري البحري كان يتنقل بين موانئ العالم القديم منافساً اساطيل الرومان واليونان والاحباش ومتفوقاً عليها، ووضع هذا الملك قوانين التعامل التجاري بين الناس.

وفي الفترات المتأخرة حدث اتفاق تجاري بين الرومان ومملكة أكسوم(الحبشة) لتحويل الطرق التجارية نحو البحر الاحمر ووادي النيل مما أحدث ضرراً باقتصاد اليمن وتجارتها، ومما زاد من مشاكل الدولة الحميرية أن "مملكة اكسوم "أصبحت قوية، وبدأت في منافستها تجاريا كما سعت للتوسع على حساب المناطق التي كانت تقع تحت نفوذ الحميريين.

واحتل الأحباش جزء من اليمن في القرن الرابع ميلادي في عهد **النجاشي العلي اسكندي** (او العلي عميدة)، وكان هدفهم هو السيطرة على طرق التجارة الشرقية ومنع الحميريين من

[3] استطاعت دولة حمير بقيادة الملك ياسر يهنعم وفيما بعد ابنه شمر يهرعش توحيد بلاد اليمن كلها ، فقد سيطروا على مملكة سلا في القرن الثاني قبل الميلاد ، واستمرت في التواجد حتى القرن السادس عندما تعرضت لهجمات الاكسوميين (الحبشة) في سنوات 516 وفي سنة 525م قتل اخر ملوكها وهو "ذو نواس"

مهاجمة اراضي الحبشية، وما كان للأحباش أن يسيطروا على اليمن إلا بمساعدة من البيزنطيين، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا فقد تمكن الملك الحميري "**ملكي كرب** "من تحرير اليمن سنة 378م، وحقق خلفائه توسعات كبيرة في نجد والحجاز ووصلوا إلى الحيرة والأنبار.

وبعد وفاة الملك **ملكي كرب** تولى ابنه **ابو كرب أسعد** ويسمى كذلك **تبان أسعد** فأضاف الى لقبه "**ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات**" إضافة جديدة هي "**وأعرابها في الجبال وفي التهائم**" ، بعد أن تصدى لأعراب الهضاب وأعراب جنوبي نجد، وهم من قبائل نجد وتهامة الذين كانوا يتعرضون للقوافل التجارية التي تسلك طريق اليمن ونجد وأخضعهم وبنى حصناً في وادي "مأسل" ووضع فيه حاميات عسكرية لحماية الطريق، واستطاع **تبان اسعد** أن يوسع رقعة أراضيه فبلغ البحر الأحمر والمحيط الهندي والأقسام الجنوبية من نجد واستولى على قسم من الحجاز ووصل الى الأنبار حيث أسكن قومه فيها وفي الحيرة وعاد الى اليمن.

وقد بدأت الصراعات الدينية تظهر في المملكة بعد دخول اليهودية التي اعتنقها بعض الملوك مثل الملك **تبان أسعد**، وكذلك النصرانية التي انتشرت في نجران واعتنقها الملك **شرحبيل ينف** ، كما أن سد مأرب تصدع عدة مرات، وكان آخر ملك حميري هو **ذي جدن أبي نواس** وقد كان يهوديا وهو صاحب **قصة الأخدود** حيث اضطهد المسيحين في نجران، مما اغضب الامبراطور البيزنطي الذي طلب من الاحباش توجيه حملة إلى اليمن والقضاء على ذي نواس وقدم لهم السفن والاموال، وبذلك سقطت مملكة حمير وأصبحت اليمن جزء من مملكة الحبشة [4].

[4] مرت مملكة حمير بمرحلتين الاولى كانت من 115 ق.م على 275 م ، والثانية كانت من 275 م الى 525 م كانت ملوكها يلقبون بملوك سبأ وحمير وذو ريدان وحضرموت ، أخر ملوكها هو ذو نواس الذي حكم بين 515-525 م